كلمة خالد حميدان / رئيس مركز التراث العربي
في احتفال تأبيني كبير أقامته بتاريخ 24 أذار 2019
لجنة تكريم العالم اللبناني الكندي
الدكتور يوسف مروّه

كيفَ يكونُ الكلامُ عن صديقٍ مؤمنٍ عرفتَه..
ورفيقٍ على دربِ المحبةِ واكبتَه..
ومعلمٍ مجتهدٍ أصغيتَ إليه وجالستَه..
بالسرْدِ الطويلِ.. وهو مملٌّ؟
بالوصفِ الدقيقِ.. وهو مقلٌّ؟
بفيضٍ من عاطفةٍ لا تفي بالقصدِ ولا بالمهام..؟
الأرجحُ المتوقعُ في الموقفِ المُهيبِ..
أن يتوقفَ الزمانُ.. ويسكتَ الكلام..!

والكلامُ عن يوسف مروّه قصةٌ تطولُ..
أتتكلمُ عن عالمٍ أو باحثٍ أو مكتشفٍ..
عن ناقدٍ أو أديبٍ أو فيلسوف..؟
قد يصحُّ استخدامُ أيٍ من المصطلحاتِ الآنفة
أو ربما لا يصحُّ أيٌ مِنها..

لقد تعدّى د. مروّه حدودَ المصطلحِ الذي يضيقُ بأبعادِ رؤاهُ ورفّاتِ جناحيْه، ليُدخِلَك حيناً في العلومِ والسياسةِ وطوراً في الفقهِ والدينِ وأحياناً في مَداراتِ الشمسِ والقمرِ وسائرِ المجرّات..

أما إذا أردْتَ الاختصارَ فيما تُسمّيه، فقلْ هو المفكرُ المبدعُ الذي اقتربَ بأدائِه من روحِ الله.. ذلك أن الإبداعَ، كما العبادةَ، يكمنُ في الإيمانِ والتأملِ بالحقيقةِ المطلقة، أي بتعدي المنظورِ الحسيِّ إلى ما وراءِ المنظورِ العِرفاني.. والإبداع، في أيِّ حقلٍ كانَ، هو واحدٌ لا يتجزأُ لأنه يصبُّ في ذاتِ المكانِ الذي ينبعُ منه. فالموهبةُ عطاءٌ من الله، والأداءُ هو.. لله بما يُرضيه. فمنه العطاءُ وإليه الأداءُ وهكذا يتحقّقُ الإبداع..

أيها الحفلُ الكريم،

لن أتطرَّقَ إلى ما أشارَ إليه الأصدقاءُ الذين سبقوني في الكلامِ عن إنجازاتِ ومآثرَ د. مروّه. بل سأحاولُ إلقاءَ الضوءِ على اهتماماتِه ومساهماتِه في بعثِ التراثِ العربي وأهميةِ نشرِه في العالم، رداً على تحدياتِ الغربِ الذي يدَّعي الفضلَ في كلِّ ما يخدمُ الانسانيةَ من نظرياتٍ وتطوراتٍ علميةٍ وتقنيةٍ أو اختراعاتٍ واكتشفاتٍ جديدةٍ.. لقد استطاعَ د. يوسف مروّه أن يزيلَ من أذهانِ الكثيرينَ من المثقفين العربْ، وخاصةً الذين يعيشونَ في المغترباتِ، عقدةَ النقصِ التي رافقتْ تأقلمَهُم في المجتمعِ الجديدِ واستبدالَها بالثقةِ بالنفس، والعزمِ على السيرِ قُدُماً في مسيرتِه العلميةِ وثورتِه البيضاءَ على

الذهنيةِ الغربيةِ التي تحاولُ ما استطاعتْ طمسَ معالمَ الحقيقةِ في التعتيمِ على الدورِ العربي، والإدعاءَ لنفسها بالإنجازاتِ الحضاريةِ في مختلفِ الحقولِ، ما يخدمُ مصالحَها الإستعماريةَ ويُظهرُ تفوقَها في العالم..

وفي هذا المجالِ، يُشرِّفُني القولُ إنني كنتُ أحدَ الذين لبوّا نداءَ راحلِنا الكبير، في وقتٍ كانَ يُعِدُّ الدراسةَ التي تُثبتُ وصولَ الفينيقيين والعربْ إلى الأميركيتين قبلَ كولومبس وكانَ ذلك في مطلعِ التسعينات. ويقولُ مروّه في هذا المضمارِ تحديداً (ونقلاً عن أكاديميين ومؤلفين أميركيين): كريستوف كولومبس هو آخرُ من اكتشفَ أميركا..!

وقد تعاهدْنا منذُ ذلك التاريخ على أن نعملَ يداً بيد، على إحياءِ ونشرِ التراثِ بالأسلوبِ الأكاديمي الحضاري من خلالِ مركزِ التراثِ العربي الذي كنتُ قد بدأتُ أعِدُّ له خريطةَ الطريق. وكذلك من خلالِ جريدةِ "الجالية" التي كنتُ قد أسَّسْتُها وأعددْتُها للغايةِ ذاتِها.

ففي رحلةِ إحياءِ التراث، التي استغرقتْ ربعَ قرنٍ من الزمنِ ونيّف، أقمْنا عدَّةَ احتفالاتٍ ولقاءاتٍ وندواتٍ ثقافيةٍ تبرزُ أهميةَ الدورِ العربي في الحضارةِ الإنسانيةِ التي ينعمُ بها العالمُ اليومَ، وكان د. مروّه العرّابُ الأكثرَ حضوراً في وضعِ النقاطِ واللمساتِ المعرفيةِ بمراجعاتِه ودراساتِه القيمة. وفي طليعةِ هذه الاحتفالاتِ، كانتْ العناوينُ التالية:

ـ التراثُ الثقافي على امتدادِ طريقِ الحرير ـ التراثُ المتعددُ الثقافاتِ في حوضِ البحرِ المتوسط ـ آثارُ التراثِ الثقافي العربي في النهضةِ الأوروبيةِ ـ والتعدديةُ الثقافيةُ بعنوان: النسيجُ الكندي يَجمعُ العالمَ..

لستُ هنا لأُطيلَ الحديثَ عن الدورِ الذي اضْطلعْنا به في إحياءِ التراثِ في السابق، وإنما للتأكيدِ على ضرورةِ الاستمرارِ في تشجيعِ هذا الدورِ وجعلِ ناشئتِنا العربيةِ تتابعُ المسيرةَ لما يخدمُ وجودَها ويعزِّزُ حضورَها بين الشرائحِ الاجتماعيةِ المختلفةِ التي يتألّفُ منها المجتمعُ الكندي.

من المؤسفِ أن يَزعمَ البعضُ بأنَّ الإبداعَ العربي معطّلٌ اليومَ، كما التراث. لا شكَّ أنه ادعاءٌ باطلٌ ومرفوضٌ، ذلك أنَّ الدراسةَ التي بحوزتِنا في مركزِ التراث العربي، والتي حقَّقَ فيها الدكتورُ مروّه شخصياً، تشيرُ إلى متفوقين مبدعين من الجنسياتِ العربيةِ المختلفةِ، يتوزَّعون بين الفلاسفةِ والمخترعين والمكتشفين وواضعي النظرياتِ الجديدةِ في العلومِ والرياضياتِ والطبِّ والفيزياءِ والفلكِ وغيرِها.. وإذا أجيزَ لنا تصنيفُ هؤلاءِ نقولُ: إنهم صانعو التراثَ العربي المعاصرِ..

وأحدُ هؤلاءِ المبدعين العباقرة هو واحدٌ من أبناءِ جاليتِنا اللبنانية العربيةِ في كندا، هو العالمُ والباحثُ الدكتور يوسف مروّه، الذي كانَ له الباعُ الطويلُ والانتاجُ الوفيرُ في العلومِ الفيزيائيةِ والفلكيةِ والرياضياتِ وغيرِها، وكانتْ لمساهماتِه البصماتُ الراسخةُ في الحضارةِ الغربيةِ التي يدَّعيها أصحابُها

المزيفون ويفاخرون بها.. فالبصمةُ النافرةُ لا يبلغُها المدَّعون المقنَّعون، إذ لا بدَّ للقناعِ أن يسقطَ وللوجهِ أن ينقشعَ.
أما البصمةُ الخالدةُ.. هي التي يطبعُها على جبينِ التاريخِ، عملاقٌ كصديقِنا الذي رحلَ، لا تزولُ بزوالِ جسدِه ولا ترحلُ برحيلِه بل تُحدِّثُ عنه إلى يومِ القيامةِ.. فالخالدُ ليسَ من يعْبرُ التاريخَ.. بل من يصنعُ التاريخَ ويعْبرُهُ..

تحيةً من الأعماقِ إلى روحِ الصديقِ الدكتور يوسف مروّه الذي قلتُ فيه يوماً: هو الإرادةُ التي لا تلينُ والطموحُ الذي لا يهدأُ.. علّهُ يهدأُ بالُه حيثُ هو اليومَ بعهدةِ السماءِ، في جنةٍ خصَّها الله للمؤمنين المبدعين..
تحيةً كبيرةً إلى هذا العملاقِ الذي بأمثاله نعتزُّ ونفاخرُ.. وبأمثاله نواجهُ التحدياتِ الحضاريةِ.. وننتصرُ..